بسم اللّه الرّحمن الرّحيم

جامعة تربيت معلم

كلية الآداب والعلوم الإنسانيّة

قسم اللغة العربية وآدابها

« الشكوى في شعر حافظ إبراهيم»

«رسالة أعدّت للحصول على شهادة الماجستير في اللغة العربية وآدابها »

الأستاذ المشرف: الدكتور علي پيراني شال

الأستاذ المشرف المساعد: الدكتور محمد على جعفري

الطالب : علي حسين غلامي يلقون آقاج

شتاء ٩٠

الإهداء

إلى والدتي الحنونة

و إلى والدي الكريم

أقدّم هذا الجهد المتواضع

ملخّص البحث بالعربيّة

الشكوى هي تعبير عن هموم الإنسان الناتجة عمّا يعرض له من مشكلات حياته. حافظ إبراهيم هو من الشّعراء الذين نرى في حياتهم مشاكل كثيرة. هو ذاق مرارة اليتم و البؤس منذ صغره. تعاقبت عليه سلسلة من النكبات، فمن فقدان أبيه و هو طفل، إلى فقره و بؤسه في الحياة إلى إخفاقه في العمل و في الزواج و غير ذلک، أدّى إلى سيطرة التشاؤم و الحزن على نفسه حتّى جعله صاحب نفس شكّاء بكّاء.

إنّ بؤس حافظ قد أتاح له أن يختلط بسواد الشعب و يصوّر أحزان الشعب المصري و أفراحه. لذا نجده في أشعاره الاجتماعيّة يشكو ممّا في المجتمع من الفقر و سوء حال الأطفال المشرّدين و البؤساء و يعبّر عن المفاسد و الآفات الاجتماعيّة الّتي طغى طوفانها في عصره و منها الجهل و الخمول. إنّ حافظاً إلى جانب هذه المشاكل لا ينسي أن يدافع عن الشعب و حقوقه و يحمل على السلطة الغربية الّتي تتحكم في بلاده. لذا لم يقدر على حبس الشكوى من الاحتلال و الظلم. فواصل حافظ في عادة الشكوى طول حياته فلم يحل عنه، فيشكو من آلامه و آلام شعبه.

هذا البحث يدرس الشكوى في شعرحافظ إبراهيم و يظهر مظاهر الشكوى عنده كالشكوى من الشقاء و الفقر و الظلم و الدّهر و الأصدقاء و..... و يبين الخصائص الفنية الّتى قد استخدمها الشاعر في شكاويه هذه.

هذا البحث يتكوّن من أربعة فصول:

الفصل الأوّل : يختصّ بدراسة الشكوى في الشعر العربي منذ العصر الجاهلي حتّى العصر الحديث ليظهر لنا مسير شعر الشكوى في الأدب العربي.

الفصل الثاني: يختصّ بدراسة الأوضاع السياسيّة و الاقتصاديّة و الاجتماعيّة و الأدبيّة في عصر النهضة لكي يتبيّن لنا تأثيرهذه الأوضاع في ظهور شعر الشكوى في هذا العصر.

الفصل الثالث: يتناول الشكوى في شعر حافظ إبراهيم و يتحدث عن مظاهر الشكوى في شعره.

الفصل الرابع: يختصّ بدراسة الخصائص الفنيّة في شعر حافظ الشاكي.

المقدّمة

الحمد لله حمداً يليق بجلاله و عظيم سلطانه و الصلاة و السلام على خير رسله و أنبيائه و على آله الأطهار .

و أمّا بعد:

إنّ الشكوى فن مهمّ من فنون الشعر العربي قديماً و حديثاً لأنّ الشكوى ترتبط بالنفس البشريّة و نجدها في الشعر العربي من العصور السابقة. إذا تتبعنا شعر الشكوى في هذه العصور وجدنا كثيراً من الشعراء أصيبوا في آمالهم الاجتماعيّة و السياسية و الاقتصاديّة و العاطفيّة بالخيبة، فتبرموا بالدنيا و بأهلها أمثال الشنفرى و أبى العتاهيّة و بشار بن برد و ابن نباته المصري و .... حتّى نصل إلى شعراء العصر الحديث و نرى ظاهرة الشكوى عند أبناء هذا العصر و منهم حافظ إبراهيم.

نشأ حافظ إبراهيم يتيماً فقيراً و واجه سلسلة من النكبات في حياته. النكبات الّتي كان لها تاثير شديد في نفسه. من جانب آخر شاهد الشاعر في عصره الظلم و الاحتلال من قبل الأجانب و رأى أيضاً سلسلة من المفاسد و المشاكل الاجتماعيّة و الاقتصاديّة الّتي استهدفت المجتمع و الشعب المصري في ذلک العهد. هذه المصائب و المشاكل جعلت الشاعر يشكو من الفقر و الحظّ و الدّهر و الظلم و الاحتلال و .... و يحمل لواء الشكوى في عصره.

لذا كانت دراسة الشكوى عند حافظ إبراهيم من الموضوعات الّتي ألحّت علىّ كثيراً في مرحلة الماجستير و عزمت ولوج البحث العلمىّ .فاخترت موضوع رسالتي **« الشكوى في شعر حافظ إبراهيم».**

دوافع اختيار هذا الموضوع

١: كانت دراسة الشكوى عند حافظ إبراهيم من الأمور الّتي شغلت ذهني منذ زمن، فكانت عندي رغبة و اشتياق لاختيار هذا الموضوع.

٢: روعة الأبيات و الأشعار الّتي أنشدها حافظ في الشكوى.

٣: سبق الشاعر جملة شعراء عصره في موضوعات كالشكوى.

أهميّة الموضوع

١: إبراز تأثير الأوضاع السياسيّة و الاقتصاديّة و الاجتماعيّة في شعر الشكوى في عصر الشاعر.

٢: تبيين مظاهر الشكوى عند حافظ إبراهيم.

٣: تبيين الخصائص الفنيّة في شعر حافظ الشاكي.

خلفية الموضوع

هناک دراسات و رسائل مختلفة حول حافظ و أدبه لكنّ أكثر هذه الدراسات كانت حول أشعاره الاجتماعيّة و السياسيّة و الوطنيّة نحو:

الف: بررسي آثار و أحوال حافظ إبراهيم : كتايون فلاحي. جامعة تربيت مدرس .

ب:رويكردهاي سياسي و ملّي و اجتماعي در شعر حافظ إبراهيم: وحيد موسى نتاج. جامعة تربيت معلّم.

ج: السياسة و المجتمع بين الشيخ محمّد عبده و حافظ إبراهيم : أحمد أميدوار، جامعة تربيت معلّم.

د: فلسفة اجتماعي حافظ ابراهيم: مسعود باقري. جامعة فردوسي .

فلقد بحثت في مكتبات بعض الجامعات كما بحثت في الإنترنت فلم أعثر على أيّ دراسة تتناول موضوع رسالتي. لهذا كلّه اقتنعت أنّ هذا الموضوع جدير بالدراسة.

الجديد الّذي قمت به هو أنّني تصفّحت ديوان الشاعر و قرأته بدّقةٍ و استخرجت مظاهر الشكوى منه و رتّبت هذه المظاهر حسب الموضوعات و تعداد الأبيات ثمّ شرحتها و أشرت أيضاً إلى الخصائص الفنيّة في شعره الشاكي.

منهج البحث

هذا البحث قائم على المنهج التاريخي و الوصفي و التحليلي.

محاور البحث

تشتمل هذه الدراسة على الفصول التالية:

١: الفصل الأوّل: الشكوى في الشعر العربي منذ العصر الجاهلي حتّى العصر الحديث.

أمّا أهداف هذا الفصل، فهي الوصول إلى جواب هذه الأسئلة:

الف: ما معني الشكوى لغة و اصطلاحاً؟

ب: ما هي ميزات شعر الشكوى؟

ج:ما هي سمات شعر الشكوى في العصور السابقة في الأدب العربي؟

٢: الفصل الثّاني: الأوضاع السياسيّة و الاقتصاديّة و الاجتماعيّة و الأدبيّة في عصر النهضة.

أمّا أهداف هذا الفصل، فهي الوصول إلى جواب هذه الأسئلة:

الف: كيف كانت الأوضاع السياسيّة والاقتصاديّة و الاجتماعيّة و الأدبيّة في العصر الحديث؟

ب: هل أثرت هذه الأوضاع في شعر الشكوى في هذا العصر؟

ج: هل تأثر حافظ من هذه الأوضاع في شعره؟

٣:الفصل الثالث: دراسة مظاهر الشكوى في شعر حافظ إبراهيم.

أمّا أهداف هذا الفصل، فهي الوصول إلى جواب هذه الأسئلة:

الف: ما هي مظاهر الشكوى في شعر حافظ ؟

ب: كيف اتِجه الشاعر إلى هذه الشكاوي؟

٤: الفصل الرابع: دراسة الخصائص الفنيّة في شعر حافظ الشاكي.

الف:ما هو معجم حافظ إبراهيم في شعره الشاكي؟

ب: ما هي التراكيب و الأساليب الّتي استخدمها الشاعر في شعره الشاكي؟

ثمّ انتهى البحث بخاتمة تحدثت فيها عن خلاصة ما انجزته.

اصطلاحات

م: المصدر
م. ن: المصدر نفسه
م. س: المصدر السابق
ص: الصفحة
ص. ن: الصفحة نفسها
ص.س: الصفحة السابقة
لا م: لم يذكر مكان النشر
لا تا: لم يذكر تاريخ النشر
لا ط: لم تذكر الطبعة

قد حاولت قدر استطاعتي أن أستفيد من المصادر و المراجع المتواجدة في دراسة الموضوع. لعلّ من جملة الصعوبات التي واجهتها قلّة المصادر و المراجع حول الدراسة. على الرغم من هذا حاولت في توفية هذا البحث حقّه. في مطاوي هذه الرسالة موضوعات فكريّة، أدبيّة، اجتماعيّة، كثيرة قد استخرجت كلّها من ديوان الشاعر و قد أوتى بها عند دراسة العناوين المعنية و اتمنّى أن تنفع طلاب فرع اللغة العربية و آدابها.

من الواضح أنّ وجهات النظر التعديليّة للأصدقاء ستساعد محبى العلم و الأدب في إتمام هذا الجهد المتواضع الّذي ليس خالياً من الخطأ، فأعتذر من أيّ تقصير أو خطإ وقع في هذه الدراسة. **«و الكمال للّه وحده».**

في الختام عليّ أن أتوجّه بالشكر الجزيل إلى أستاذي الفاضل « الدكتور علي پيراني شال» الّذي قبل الاشراف على رسالتي و منحني من جهده. كما أعرب عن وافر شكري لأستاذي الكريم المشرف المساعد « الدكتور محمد على جعفري» الّذي ساعدني بتوجيهاته.

أوجّه شكري الخالص إلى أساتذتي الكرام لنبل أخلاقهم و ديدنهم العلمي و أخصّ بالذكر أستاذي الفاضل الدكتور حامد صدقي و أتوجّه بالشكر و العرفان لأعضاء قسم اللغة العربية في جامعة تربيت معلّم .

و لا أنسي توجيه الشكر لكل من أمدّنى بمعلومة أو توجيه في هذه الرسالة.

فجزى الله الجميع خير الجزاء.

و للّه الحمد فهو المستعان و هو المعين.

الفصل الأول:

الشكوى في الشعر العربى

«منذ العصر الجاهلى حتى العصر الحديث»

التوطئة

هذا الفصل يتناول مفهوم الشكوى في اللغة و في الأدب كما يتحدث عن المرامي التي ترمى إليها شكاوي الشعراء، و يشير إلى أهمّ ميزات شعر الشكوى و موضوعاته في العصر الجاهلي، و العصر الأموي و في العصر الأندلسي و العباسي و الوسيط. ثمّ يدرس ميزاته في هذه الفترات؛ ليبيّن لنا مسير شعر الشكوى في هذه العصور للأدب العربي و تنميته من خلال الزمان.

المدخل

الشكوى هي تعبيرٌ عن هموم الإنسان الناتجة عمّا يعرض له من مشكلاتِ الحياة الخاصّة و العامّة الّتى يواجهُها و فيها تعبير عن واقع الإنسان و آلام واقعه فينفجر غضباً و سخطاً و يحترق أسىً و مرارةً لما هو عليه من إهمال و هوانٍ مع ما له من مواهب و معارف و مطامع.

إنّ الشكوى من الأمور الطبيعية الّتي تتّجه إليها النّفوس بقصدٍ أو بغير قصد فى جميع المجتمعات البشريّة كما نرى الشكوى عند الأنبياء عليهم السّلام على سبيل المثال يشتكى زكريا عليه السّلام من الشيب حيث المشيب اشتعل على رأسه :﴿ **قال رَبِّ إنّي وَهَنَ العَظمُ منّي و اشتَعَلَ الرّأسُ شيباً و لَم أكُنْ بدُعائِكَ رَبِّ شَقيّاً**﴾[1] و يشكو يعقوب عليه السّلام إلى الله ممّا أصابه من الحزن: ﴿ **قالَ: إنّمَا أشْكُواْ بَثّي وَ حُزْنِي إلى اللّهِ وَ أعلَمُ مِنَ اللّهِ مَا لا تَعلَمُونَ**﴾[2]

الإنسانُ حينما يقعد به الحظّ و لاينال ما يتمنّاه أو ما يراه جديراً به أو ينتابه الألم و الحزن و الظلم و... يشكو. لذا كانت الشّكوى هي الثوب الّذي يضُمّ أوجاع المرء و أحزانه تجاه مثير معين أو عدّة مثيرات.

مفهوم الشكوى لغةً

جاء في لسان العرب «شكا الرجل أمره يشكو شكواً على فعلاً و شكوى على فَعلى و شكاوة و شكاية: أظهر ما به من مكروه أو مرض و نحوه.»[3]

كما جاء فى الصّحاح« شكوتُ فلاناً أشكوه شكوى و شكاية و شكيّة و شكاة :إذا أخبرت عنه بسوء فعله بك .فهو مشكوّ و مشكىّ و الاسم الشكوى.»[4]

فحوى الشكوى أن يخبر الشّاكى المشكوّ إليه عن مكروه أصابه و يلجأ إليها فى الموجدة و الهمّ و المرض و صاحبت معنى الشّكوى، التّوجعَ و الألم و التعب .

---

١. سورة مريم، الآيه٤.
٢. سورة يوسف، الآيه ٨٦.
٣. لسان العرب:(مادّه شكا): ابن منظور، نسقه وعلّق عليه و وضع فهارسه على يسرى. دار إحياء التراث العربى، بيروت، ط١، ١٤٠٨ه، المجلد السابع.
٤. الصحاح تاج اللغة و صحاح العربية: (مادّه شكا): إسماعيل بن حمّاد الجوهرى، تحقيق احمدعبدالغفارعطّار. دارالعلم للملايين، بيروت، ط٤، ١٩٩٠م، المجلد السادس ٦.

مفهوم الشكوى اصطلاحاً

«الشكوى فى الأدب منثوره و منظومه غرض من أغراضه، يعبّر به الشاعر عن مصائب نزلت به أو بقومه لعلّه يجد من يشكيه و يعينه على الخلاص ممّا يعانيه و هذا الغرض يُرَدُّ عند التّحليل إلى ثلاثة أغراض: فخر خفى و مدح شجىّ و هجو جلىّ. علّة امتزاج هذه الأغراض فى الشّكوى أنّها تحتاج إلى ثلاثة أشخاص: شاكٍ، مشكوّإليه و مشكوّ منه، فالفخر الخفىّ يختصّ الشاكى و المدح الشجىّ يُستعطف به المشكوّاليه و الهجو الجلى يُقرَّعُ به المشكوّمنه.» [1]

إنّ الشاكي يهجو المشكوّ منه، و يندّدُ بأذاه، و يفضح اعتداءه عليه، و بخسه حقّه. و يمدح المشكوّ اليه، لأنّه يتوقّعُ فيه القدرةَ على انصافه لكي يُشكيه، أي: ليزيلَ عنه ما وقع و حدثَ به مِن الظُلم .

«الشكوى ضربان: عامة و خاصّة. فى العامّة يتحدّث الشاعر عمّا نزل بقومه أو بالنّاس عامّةً من بلاء أنزله بهم الولاة أو القادةُ أو العمّالُ .و فى الخاصّة يشكو الشاعر من احواله و قلّةِ ماله و مرضِه أو من الحكم عليه بغير العدل أو زجّه فى السّجن بغير جريرة.»[2]

المرامي الّتي ترمي إليها شكوات الشّعراء

١)«أوّلها و أدناها أن يريح الشاعر صدرَه من غمّ واقع و همّ متوقّع. أو من المرض و الظلم و الألم و الشيخوخة على النحو الّذي نسمعه من أفواه المسنّين الّذين يُردّون إلى أرذل العمر.»[3]

٢)«ثانيها و أجداها أن يرفع الشاعر شكواه إلى من يشكيه، أي: لمن يزيل عنه أسباب الشكوى و ينقذه مما فيه. كشكوى الفقراء إلى الأغنياء، و المرضى إلى الأطباء، و المظلومين من الظالمين إلى القضاة، والمضطهدين من الشرط إلى الولاة و الغرض من ذلك كلّه دفع الفقر و الخلاص من الاجحاف. هذا الضرب من الشكوى يُشفَعُ بالاستعطاف و التضرع بُغية الوصول إلى القلوب القاسية من أولى الأمر.»[4]

---

١. الشعر فى عصر النبوّة والخلافة الراشدة: د. غازى طليمات و عرفان الاشقر، دار الفكر، دمشق، ط١، ١٤٢٨هـ، ص٥٦٤.
٢. الشعر في العصر الاموى: د. غازى طليمات و عرفان الاشقر، دار الفكر ، دمشق، ط١، ١٤٢٩هـ، ص٤٨٣.
٣. م. ن: ص٥٦٦-٥٦٧.
٤. م . ن: ص ٥٦٧.

٣) «ثالثها و أشفاها أن يقتصّ الشاكي من غريمه، فيقرّع المشكوَّمنه بين يدي المشكوّ إليه بأسلوب لايخلو من إمتاع له و إيجاع لخصمه، سواء أتمخّضت الشكوى من منفعة تعودُ فائدتُها على الشاكي أم عن عقابٍ يعود أذاه على المشكوّمنه و هذا النمط من الشكوى تخالطه السّخرَة و يمازجه الألم و يقتربُ بعضَ الأقتراب من الهجاء السياسي.»[١]

أهمّ ميزات شعر الشّكوى

لشعر الشّكوى ميزات و سمات يوسم بها و هذه السّمات تتجلّي فيه أكثر ممّا تتجلي في الأغراض الاخرى و تعطيها شكلاً خاصاً و إنّ هذه السّمات و الخصائص تتراءى في المضمون لا في الشكل، فمنها:

١- إنّ الشكوى تختلفُ عن المدح و الفخر و باقي أغراض الشعر العربي لأنّها خالية من الافتعال، و تأتي مجردةً من التّصنع و التكلّف، بل إنّها فوق ذلك تأتي ضاجّة بالمعاناة و ممزوجة بالحزن و ممتلئة بالصّدق و التعبير الحقيقي عن العواطف المشحونة بالتعب و نادراً ما تأتي الشكوى باردة فاترة متكلّفة[٢]، «بل انّه لابدّ أن يتوفر َفى التجربة صدق الوجدان، فيعبّر الشاعر فيها عمّا يجده فى نفسه و يؤمن به.»[٣]

٢- تمتاز بعمق العواطف وذلك يعودُ إلى ارتباط الشكوى بالألم و الهمّ و القلق و الأرق و الامتعاض و الضيق. هذه المجموعة من المشاعر أفعل فى القلب من العواطف المبهجة.[٤]

٣- تمتاز بصدق العواطف و ذلك ينجم عن لصوق الشكوى بالشاعر أو بقومه لا بممدوح يتودّد إليه و لا مرثى يتباكى عليه . تعبير الشاعر عن إحساس يعانيه أصدق من تعبيره عن احساس يقحمه فى قلبه و كلّمّا كانت الشكوى بصاحبها ألصق كان التعبير عنها أصدق و أعمق. لذلك كانت العواطف المتفجرة من الشكاوى الشخصية أشدّ العواطف حرارة و أحدّها لذعاً و أقدرها على التأثير.[٥]

١.م. س: ص.س.
٢ . شعر الشكوى عند المتنبي «رسالة أعددت لنيل درجة الماجستير في الأدب العربي »: أحمد عبدالرحمن حسين العرفج. جامعة أم القرى، كلية اللغة العربية ،٢٠٠٦م، ص ٤
٣. النقد الأدبي الحديث: محمد غنيمي هلال. دارالعودة، بيروت، لا ط، ١٩٨٧م، ص ٣٨٧.
٤ . الشعر في عصر النبوّة و الخلافة الراشدة: د.غازي طليمات و أ. عرفان الأشقر. ص ٥٩٠.
٥ . م. ن: ص.ن.

٤- الإلتزام الأخلاقى يُعدّ من سماتها الاخرى. «إذا خرجت الشكوى من إطارها الفردي الضّيق و تناولت القضايا العامّة بالتحليل و النقد فحينئذٍ تنتقل إلى ميدان الحياة الاجتماعية فتتحدّث عن جوع المحرومين و ظلم المضطهدين و قد تنتقل إلى ميدان الإدارة و الحكم فتنتقد فساد الدّولة و طمع الولاة و بهذا الانتقال تكتسب بعداً سياسياً يضاف إلى بعدها الاجتماعي . خوض الشكوى فى هذين الميدانين يجعلها بمعايير النقدية القديمة و الحديثة من أقرب الأغراض التقليدية إلى الإلتزام لحرصها على الأوضاع الفاسدة و طموحها إلى تغيير هذه الأوضاع. لكنّ اقترابها من الإلتزام لا يعني أنّها ملتزمة بالمعنى الثوري النزّاع إلى التغيير الجذري و إنّما يعني أنّها تلتزم معالجة الأوضاع الاجتماعية و القضايا السّياسية إلتزاما خلقياً.»[١]

٥- «إنّ الشكوى تمتاز بالواقعية و تشتمل على عناصر عقلية.»[٢]

٦- «إنّ الشكوى تشتمل على معانٍ إنسانية، فضلاً عن الجوانب الذاتية.» [٣]

الشكوى قبل العصر الحديث

الشكوى قديمة فى الشعر العربى و من أوسع الميادين الّتي يرتادها خيال الشّعراء فمنذ أن أخذ الإنسان يعبّر عن ذاته مفصحاً عن حاجاته فى الحياة و منذ أن أصبح يحس بوجوده في مجتمعه مؤمناً بالجماعة و مرتبطاً بمن حوله من أبناء جنسه ، يتحدّى معهم الصعاب، و يواجه مشكلات عصره بدأ يشكو و يصوّر للآخرين معاناته و همومه. لقد كان الشاعر من أرهف النّاس شعوراً و أبينهم تعبيراً و أقدرهم على ترجمة ما يختلج فى النفوس عامّة لا فى نفوس خاصةً و على تصويرالمعاناة و رسم الأبعاد الحقيقية لأوضاعهم الذاتية و الاجتماعية.

١- الشكوى فى العصر الجاهلى

الف: من موضوعات شعر الشكوى فى العصر الجاهلي

١- الشكوى من الدّهر: «حين نتتبع شكوى الشاعر الجاهلى نجد أنّ مصائبه كلّها فى نظره مصدرها الدّهر و لا شىء غيره، فهم ينسبون إليه كلّ ما يحلّ بهم من المكروه، و ما انفكّ

---

١. م. س: ص -٥٩١.
٢. الشكوى في الشعر العربي حتّى نهاية القرن الثالث الهجري« رسالة اعدّت لنيل درجة الدكتوراه في الأدب العربي»: ظافر عبدالله علي الشهري.مكة المكرمّة، جامعة أم القرى، كلية اللغة العربية و آدابها، ١٤١١هـ، ص٧.
٣. م. ن: ص.ن.

الشعراء الجاهليون يحذرون من الدّهر و هذا يدلّ على أنّهم كانوا فى الغالب دهريين فى معتقدهم »[1] و قد بيّن الله سبحانه و تعالى عقيدتهم تلك، فقال تعالى:﴿ **وَ قالوا ما هِيَ الّا حياتُنا الدّنيا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَ مَا يُهلِكُنا إلّا الدَّهرُ**﴾[2].لقد سيطر خوف الدّهر على وعى الجاهليين و وجدانهم فربطوا به كلّ ما يصيبهم فى الحياة حتّى الموت و ما نزلت بهم ضائقة الّا عزوها إلى الدّهر جهلاً منهم بذلك.

و يقول زهير *بن أبي سلمى* شاكياً من الدّهر الّذي لاينصف في حكمه و إنّه يرمى دون أن يرميه أحدٌ، فقال:[3]

يــا مَــن، لِــأقوامٍ فُجِعْــتُ بهِــم كَــانُوا مُلُــوكَ العُــرْبِ و العُجْــمِ
فاســتأثرَ الــدّهرُ، الغَــداةَ، بهِــم والـــــدّهرُيرمينى و لا أرْمِـــــي
يــا دهــرُ، قــد أكثــرْتَ فُجعَتَنَــا بسَــراتنا و قرَعــتَ، فــى العَظــمِ[4]
و سَلبتَـــــنا مــا لســتَ مُعقِبَــه يا دهــرُ، ما أنصَفــتَ فى الحُــكْمِ[5]

٢- الشكوى من الليل و طوله: إنّ الشكوى من طول الليل و ثقله ترتبط ارتباطاً وثيقاً بما يدور فى نفس القائل من همومٍ كما يشكو *النابغة الذبيانى* قائلاً: إنّ ليله طال و تضاعف حتّى ظنّه غيرَ منقضٍ لأنّ همومه منَعَته من النّوم:[6]

كِلينِــي لِهَــمّ يَــا أُمَيمَــةَ نَاصِــبِ وَلَيــلٍ أُقاسِيــهِ بَطِــئ الكَواكِــبِ
تَطــاولَ حَتّــى قُلــتُ لــيس بمُــنقضٍ وَلَيسَ الّذي يَرعَـــى النُّجُومَ بآئبِ
وَصَدرٍ أراح اللّـــيلُ عَازبَ هَمِّــهِ تَضاعَف فيه الحُزنُ مِن كُــلِّ جَانبِ

كما يشكو *إمرؤالقيس* من طول الليل عندما ضاق صدره من همومه و أرهقته الليالي :[7]

---

١ .م.س: ص٢١.
٢. سورة الجاثية، الآية٢٤.
٣. ديوان زهير بن أبي سلمى: شرحه و قدّم له الأستاذ علي حسن فاعور. دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٨ه،ص١٢٣
٤. السراة: سادة القوم واشرافهم. قرعت: اصبت
٥ . ما لست بمعقبه: أى من لست تجود بمثله، فتعقبه خلفاً.
٦ ديوان النابغة الذبياني: شرحه و ضبط نصوصه و قدّم له الدكتور عمر فاروق الطباع. دار القلم للطباعة والنشر و التوزيع، بيروت، لا ط، لاتا، ص١٧.
٧ . ديوان إمرى القيس: اعتنى به و شرحه عبد الرحمن المصطاوي. دار المعرفة، بيروت، ط٤، ١٤٢٩ه، ص ٤٨- ٤٩.

وَ لَيلٍ كَمَوْجِ البَحرِ أرخَى سُدُولَهُ عَلَيَّ بِأنواعِ الهُمُومِ لِيَبتَلِي
فَقُلتُ لَهُ لَمّا تَمَطّى بِصُلبِهِ وَ أردَفَ أعْجَازاً وَ نَاءَ بِكَلكَلِ
ألا أيّها اللَّيلُ الطَّوِيلُ ألا انْجَلِي بِصُبحٍ وَ مَا الاصبَاحُ مِنكَ بِأمثَلِ

يشبه الليلَ بأمواج البحر في توحّشه و قد أسدل عليه ستوره السوداء لاختباره بما عنده من الصبر على الشدائد و حينما طال الليل، تصوّره جملاً يتمطّى، فيزداد طولاً وله أعجاز لا تنتهى، فقد أصبح ثقيلاً كأنّه كلكل جمل يضغط عليه و أخذ يحثّه على أن يذهب و لكنّه يعلم بأنّ الصباح ليس بأفضل من الليل لأنّ نفسه مرتبطة بالهموم.

٣: الشكوى من الموت : و مثاله قول *الخنساء* و هى قد ملأت الدّنيا من المنايا : [١]

مَا لِلمَنَايَا تُغَادِينَا و تُطرِقُنَا كأنّنَا أبْدَاً نُحتَزُّ بالفَأسِ
تَغدُو عَلينا فتأبَى أنْ تُزايلَنَا لِلْخَيرِ فالخَيرُ مِنّا رَهْنُ أرماسِ

٤- الشكوى من الفقر: مكابدة العرب الفقر مأساة إنسانية أُخرى و لهذا كان الكرم عندهم أفضل الفضائل، به يُنقذ الجياعُ و لهذا«سطوة المال و سلطانه على نفوس البعض جعلهم يعدّون المال أساساً للحياة حتّى أصبح الفقير فى المجتمع خلواً من كلّ معاني التقدير.»[٢]

كما يشكو *عروة بن الورد* من فقره و يسعى للحصول على المال لأنّه يعتقد بأنّ شرّ النّاس و أهونهم هم الفقراء و أيضاً يعتبر النّاسُ الفقيرَ أذّل الخلق و لو كان صاحب حسب و نسبٍ و يبعده الأقرباء و تحتقره زوجته و أمّا ذو الغنى فله جلال و إكرام: [٣]

دَعيني لِلغنى أسعَى، فإنّي رأيتُ النّاسَ شَرُّهُم الفَقيرُ
أبعدُهُم و أهوَنُهم عَليهم و إن أمْسَى لَه حَسَبٌ و خَيرُ
و يُقصيه النّديُّ و تَزدريه حليلتُه و يَنهَرُه الصّغيرُ
و يُلفى ذو الغنَى و لَه جلالٌ يكادُ فُؤادُ صاحبِهِ يَطيرُ

كما ينشد *الشنفرى* فى الشكوى من فقره: [٤]

---

١ . ديوان الخنساء: دار صادر، بيروت، لاط، لاتا، ص٨٣.
٢ الشكوى في الشعر العربي حتّى نهاية القرن الثالث الهجري: ظافر عبدالله علي الشهري، ص ١٥٣.
٣. ديوانا عروة بن الورد و السموال: دار صادر، بيروت، لاط، لاتا، ص٤٥.
٤.ديوان الشنفرى: جمعه و حققه و شرحه الدكتور إميل بديع يعقوب. دار الكتاب العربي، بيروت، ط٢، ١٤١٧هـ، ص٦٨.

فإمّا تَرَيْنِي كابنةِ الرَّمْلِ ضاحياً علـــى رقّـةٍ أحفـى واتّـعّـــلُ[1]

فيخاطب إمراةً يتخيّلها و يقول إنّه فقيرٌ لايملك ما يستر به جسده من الحرّ و القرّ و لايملک نعلاً ينتعله و يحمِي رجليه.

٥- الشكوى من غدر الرفاق و خيانتهم: و مثاله قول *إمرئ القيس* قائلاً بأنّ هذا حظّه حيث ما صاحبَ أحداً إلّا خانَه: [2]

إذ قُلتُ هـذا صـاحبٌ قـد رضـيتُه و قـرّت بـه العينـان بُـدِّلتُ آخـرا
كذلك جَدّى مـا أصاحبُ صاحبـاً من النّاس إلّا خانَنُـي و تَغيّـَـرا

ب: من سمات الشكوى فى الشعر الجاهلى

١- نجد الشكوى عند الشاعر الجاهلي« بسيطة بساطة الحياة ذاتها ثم بدأت تتّسع بواعثها و تزداد كلّما تقدّم الإنسان فى ميدان الثقافة و التحضّر».[3]

٢- لم يكن شعر الشكوى فى هذا العصر يبرزُ كاتجاه منفرد، بمعزل عن الفنون الأخرى ولم يكن يحمل دلالة تمثل ظاهرة منفصلة عن باقى مجالات المعنى فى القصيدة، بل كان مصاحباً لغيره، من رثاء و فخر و مديح، و تكاد الشكوى تظهر بشكل يسير و إن كانت متأصلة في فن قول الشعر. لو حاولنا أن نجد سبباً لوجود الشكوى فى القصيدة على هذا النحو من القلّة لأرجعناه إلى طبيعة الإنسان العربى الذي يحب الصبر و يميل إلى ستر ضعفه .كأنّ الشكوى تمثّل له شيئاً من مظاهر الخنوع و الضعف و الانكسار.[4]

٣- الشاعر الجاهلى فى شكواه بل فى كل أشعاره ينطق من صدق التجربه و الإخلاص لفنّه و ذلک «لابتعاد الجاهلى عن المبالغات المفرطة التي يلفظها الحس الصّادق و الابتعاد عن التكلّف الثّقيل على النّفس و التّصنع المنفر للحسّ و المبعد عن الطبع.»[5]

٢:الشكوى فى العصر الأموي

---

[1] . ابن الرمل: الحية و قيل هي بقرة وحشية، ضاحياً : بارزاً للحرّ و القرّ،
[2] . ديوان إمرئ القيس: اعتنى به و شرحه عبدالرحمن المصطاوي. ص٩٧.
[3] . الشكوى في الشعر العربي حتّى نهاية القرن الثالث الهجري: ظافر عبدالله علي الشهري. ص٦.
٤. شعر الشكوى عند المتنبي : أحمد عبدالرحمن حسين العرفج. ص ٧.
[5] .م.ن:ص٨ المنقول عن«الجانب الخلقي في الشعر الجاهلي: زهدي صبري الخواجا.دار الناصر، الرياض،ط١، ١٤٠٤هـ، ص٣٧.

وصل الأمويّون إلى الحكم بعد فتنة وقعت فيها المظالم، و أُريقت الدماء. فبطش الاقوياء بالضعفاء قبل النصر و بعده لينعموا بما اغتنموا. ربّما وقع فى أثناء ذلک کلّه ظلم يحمل المظلوم على الشكوى و يدفع شعراءَه إلى التظلّم.

ربّما تجرّأ بعض الشّعراء على بعض الخلفاء، فتشكّى من الخليفة لاخلافه فيما وعد و« من يستعرض أسماء من شكاهم الشعراء و ما تضمّنته أشعارهم من الأفكار يجد أكثر المشكوّين من الولاة و الجباة و مطامع العمّال.»[1] ربّما أعرض آخرون عن العمّال و شكوا من الهرم و من معاشر القريب و الغريب و صدود الدّهر و صدود الحبيبة .

الف: من موضوعات شعر الشكوى فى هذا العصر

١- الشكوى من الولاة و الجباة:«أشيع أنماط الشكوى فى العصر الأموي ما قاله الشعراء فى الولاة و الجباة، و أشيع ما قيل فى هذا النمط ما نظمه شعراء العراق فيمن تولّوا العراق.»[2] كما شكا عمرو *بن أحمر الباهلى*[3] إلى يحيى *بن الحكم بن أبى العاص* والي المدينة أيّام عبد الملک بن مروان من ظلم سعاته و جُباته، فاستعاذ باللّه من جشع العمّال و نبّه يحيى على ما يقترفون من هضم الحقوق و استراق الأرزاق و مصادرة الأقوات و حثّه على مراقبة الجباية و التحقيق فيما أضمروا من الحقد على الرعية، فقال:[4]

إنّــى أعُــوذُ بمَــا عــاذَ النَّبــى بــه ... وَبالخَليفَـــةِ ألّـــا تُقْبـــلَ العـــذُرُ
من مُترفيكم وأصحابٍ لنا مَعَهُـــم ... لا يَعدلـون، ولا نـأبــى، فننتصـــرْ
فــإنْ تُقِــرّ عَلَينَــا جَــوْرَ مظْلِمَــةٍ ... لَـمْ تَـبنَ بَيتـاً عَلَـى أمثَالِهـا مضـر
مَلّوا البلاد، وَ ملّتْهم، وَأحـرَقَـهُـم ... ظُلمُ السُعـاةِ، وَ بَـادَ المَـاءُ والشّجَرُ

---

١ . الشعر في العصر الاموى: د. غازى طليمات و عرفان الاشقر، ص ٤٨٣- ٤٨٤.
٢ . م. ن: ص ٤٨٤.
٣ . عمرو بن أحمر بن العمرد بن عامر الباهلي، أبو الخطاب: (ت ٦٥هـ)، شاعر مخضرم، عاش نحو ٩٠ عاما.(الأعلام:خير الدين الزكلي: دارالعلم للملايين، بيروت، ط٨، ١٩٨٩م، الجزء الخامس ص٧٢.)
٤ الشعر العصر الاموى: د. غازى طليمات و عرفان الاشقر، ص ٤٨٧.
٥ . المترفون : هنا السعاة المتنعمون،

و شكى *الراعى النميري*[1] و صوّر تجربة تمرّس بآفاته. إنّه و قومه كانوا من المؤمنين بما في المال من حقّ معلوم للسّائل و المحروم كما جاء في قوله تعالى﴿ **وَ فِي أموالِهِم حَقٌّ للسّائلِ وَ المَحرومِ**﴾[2] لكنّ عمّال الصدقة، لم يلتزموا ما الزمهم الخليفةُ من العدل فأفقروا الأغنياء و ساقوا من الإبل الضعفاء و الكبار فقال:[3]

أخليفـــة الـــرّحمن إنّـــا معشـــرٌ حُنفـــاء نســـجد بكـــرةً و اصـــيلاً
عـــرب نَـــرى للّـــه فـــى أموالِنـــا حَـــقّ الزّكـــاة منـــزّلا تنـــزيلاً
فـــارفع المَظـــالم عيّلـــت أبناءنـــا عنّـــا وانقِـــذ شِـــلونا المَوكـــولا
إنّ الّذين أمرتَهـم أن يَعـدلـــــوا لم يَفعلـوا مّـما أمـــرت فتيـــــلاً

٢- الشكوى من الأصدقاء و الأصحاب: و مثاله قول *أبى الأسود الدؤلي* عندما تضجّر من صاحبٍ يقابل صلته بالقطع و رفده بالمنع .كلمّا قاربه نأى عنه و ازورّ و إذا مشى نحوه خطوةً فرّ منه فرسخاً و إذا طلب لقاءه قابل اللقاء بالجفاء، فقال:[4]

كَيـــفَ بصَـــاحِبٍ إنْ أدنُ منـــه يَزدنِـــي فـــي مُباعَـــدَةٍ ذِراعـــاً
و إن أمـدُد لـه فـي الوَصـلِ ذرعـي يَزدِنـــي فـــوقَ قِـــيس الـــذَّرع باعـــاً
أبَـــت نَفسِـــي لَـــه الّـــا وصـــالاً و تـــأبَى نَفسُـــه الّـــا انقطاعـــاً
كلانـــا جاهدٌ، أدنـــو و يَنـَـــــأى كَذلـكَ ما استطعـتُ ومـا استطاعـــاً

٣- الشـكوى من السجن: و مثاله قول *الفرزدق* وهو يشكو من السّجن و يطنب فى تصوير حاله فى السجن فيخبرنا أنّه يعانى من خمسين قيداً و حلقة، يبيت ساهراً من الألم و العذاب، و أحياناً يسهر معه بعض السجناء رأفة به، بينما ينام البعض الآخر. إنّ مأساته كبيرة خصوصاً فيما تعانيه رجلاه من القيود و الأغلال التّي لو كانت على الجبال الصمّ لتحطّمت:[5]

١.الراعي النميري (٧٣٨م): هو أبو جندل النميري من شعراء العصر الأموي، غلب عليه لقب الراعي لكثرة وصفه الإبل.(المنجد في الاعلام : تونل فرديناں. دارالفقه للطباعة و النشر، لام، ط ٢٣، ١٤٢١هـ، ص٢٦٠ .
٢ . سورة الذاريات: الآية :١٩
٣. الشعر في العصر الاموى: د. غازى طليمات و عرفان الاشقر، ص٤٨٥-٤٨٨.
٤ . ديوان أبى الأسود الدؤلي: صنعة أبي سعيد الحسن السُكَّري. تحقيق الشيخ محمّد حسن آل ياسين. منشورات دار و مكتبة الهلال، بيروت، ط٢، ١٤١٨هـ، ص ١٤٩.
٥. ديوان الفرزدق: شرحه و ضبط وقدّم له الاستاذ علي فاعور. دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٧ه، ص٥٦٧-٥٦٨.